



سلسلة تحقيق التراث (٤٥)

المختار من كتاب

عدد آي القرآن

بما أطبق عليهما أهل البلدان



مقدمة كتاب
المختار من كتاب عدد آي القرآن

د. محمد الطبراني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة القاضي عياض



مَرْبَاةٌ

أليس غريباً أن يجلب الداني معه من المشرق نسخاً ضافيات من كتاب ابن شاذان^(١)، - إن تمحّض أنه ألف «البيان» بالأندلس، وهو الراجح - ثم يعزُّ علينا اليوم أن نعثر من تلك الآثار الأندلسية على بقية باقية؟!!

ولئن قلنا: إن كتاب «البيان» قد نسّخه فحلّ محلّه وأغنى أهل الجزيرة عن تطلب كتب غيره، فحق أن يقال فيه ما قال ابن مجاهد عندما سُئل تأليف كتاب في العَدِّ: «كفانا ذلك وكيع»^(٢)...: لقد دلّ على خلافه أن وضع أبي العباس الفارط حتى بعد قرون من وفاة الداني، لم يزل غضّ الإهاب في حلقات الدرس القرائي الأندلسي أو المصري على الأقلّ، فعده مصدرًا ثانويًا في أرجوزته الوليُّ أبو القاسم الشاطبي - والظاهر أنه من آخر ما ألفه بمصر :-

وقد ألفت في الآي كتبت وإنني لما ألف الفضل بن شاذان مُستقري^(٣)

لكنّه عاد فصّرح أنّه ظاهر جمع ابن عمّار المهديّ وجمع أبي عمرو^(٤)، فدلّت إشارته الماضية على أنّه كشف بالوزان ما في إهاب كتاب الصيرفي^(٥) من روح

(١) دلّ عليه قوله في البيان (٢٨٨؛ ر: ٢٣٠): «ورأيت في نسخة لبعض شيوخنا عن أبي بكر الرّازي عن الفضل: أنّ عاصمًا هذا هو عاصم بن أبي النجود، والله أعلم». فظهر أنه كانت

بيده من كتاب الفضل نسخٌ يراجعها.

(٣) ناظمة الزهر: (٤؛ ر: ٢٩).

(٢) تاريخ مدينة السلام: (٢٧/٣).

(٥) هو الداني.

(٤) الناظمة: (٤؛ ر: ٣٢).

كتاب الفضل، فعرف له من الفضل ما عرفه أبو عمرو.

فقد تقرر إذاً أن نسخاً من الكتاب تُدوِلت في القرن السادس، وكانت على عيني من كبار أهل الفن، لكن آل الحال اليوم إلى أن ليس بأيدي نسخة واحدة كاملة^(١)، ولذلك لم أزل منذ أخرجت «عدد آي القرآن» لشيخ القراء بالأندلس أبي الحسن الأنطاكي (ت ٣٧٧ هـ) أتطلب نسخة منه. وكان قد حقق د. بشير الحميري قسم الفرش فحسب، على نسخة ليس عليها من دلائل النسبة ما يقطع الجهيزة، غير أنه بضمائم محتفة أناطه بآبن شاذان، من غير التنبيه إلى أن شطر الكتاب ذاهب، حسبما تشي به النقول المتضافرة عنه للداني وسواه، وركب له عنواناً ملحقاً بالنسخة لم يسعه غيره.

فإن كان من تعقب لما أبلى جزاه الله على إحسانه، فإيهامه أن الكتاب مكتمل، بل تصريحه بذلك بالقول: «ولا يوجد سقط في الكتاب، بل هو مكتمل»^(٢)؛ مع أنه ليس يخفى على كل من علق منزعته بالموازنة بينه وبين البيان، أن كثيراً مما فيه غير واقع البتة في تلك النسخة، فأين هي الآثار والأخبار المسندة، وفصول التجزئة المطولة، وأين أبواب الأصول، ومنها العشرات مصدرية بأسانيد الفضل؟! بل إنك لتستيقن الأمر من غير شبهةٍ مرآة إذا ما عن لك أن تتزع نصوص الفضل من كتاب «البيان»، فترى كيف صار مختل البنية مضطرب السحنة.

(١) من النقلة عن الكتاب: القرطبي (ت ٦٧٦ هـ) في جامع الأحكام (١/٦٥)، عزا إليه عدد كلم القرآن وحروفه في قول عطاء بن يسار، وأظنه تلقف الموضوع الفارد عن بعض موارد؛ فإنه لو حاز الكتاب لاستكثر من النقل عنه في مقدمات تفسيره خاصة. وأما ما ورد في حسن المدد للجعبري (٢٢٨؛ ٢٢٩؛ ٢٣٠؛ ٢٣٥؛ ٢٩٢) من ذكر ابن شاذان، فمن طريق الداني في جميع موارد.

(٢) سور القرآن وآياته: ٤٧.

وكان من حصائل ما مرَّ أن قرَّ عند المشتغلين بهذا الفنّ خلؤ اليد من نسخة من كتاب ابن شاذان، إلا على المطبوع منه على تردّد من بعضهم في النسبة، وجزم من جميعهم أن ليس يوجد غيره، إلى أن أعتزني الله على هذا «المختار» منه لابن المهندس، مُندساً في أضعاف مجموع كبير الجزم، عظيم الاختلاف والتباين فيما ضمّه بين دفتيه، فليس يوشك أن يقع في ذهنٍ مشتغلٍ بهذا الفنّ أن تقع طريدته فيه، والله في تصاريفه حكّم وشؤون تخفى؛ إلا عليه.

وقد بقي التنبية على أنه ليس يستقيم التلّفيق بين فرش كتاب ابن شاذان المطبوع، والمختار من أبواب أصوله - وهو وارد له حظ من سداد -؛ لأنّ الفرش يمثل الصورة الحقّة للكتاب، والمختار يمثل انتخاباً واختياراً، فلا يصحّ الجمع بينهما في موردٍ واحد... «عمرك الله كيف يلتقيان؟».

على أنّ الفائدة الجليّ أنا عرفنا ثمّ تلافينا طرفاً من الكتاب ناقصاً، وتحققنا اسمه الذي ارتضاه له صاحبه، وقدّرنا بمنطق الاختصار جزم الأضل... وكلّها من غنائم السّلم، لم نوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب.

وقد طفقت أردد النظر حين ظفرتُ بهذا الجزء، بين أن أسوقه على حاله مُصحّح اللفظ ما وسعني، أو أن أشفع ذلك بتخريج أحاديثه - وفيها من الوجوه التي لم تُعرف من قبل عددٌ غير يسير - فلم أرم إلا أن أنقاد لهذا على كره مني، لعلمي ما ينزفه التخريج من وقت وجهد، وما يستتبعه من تراخٍ ومُهلة، ولولا هذا الاختيار، لكنّ نفضت اليد من الجزء قبل سنتين، بُعيد كسفي له بشهور.

واستقرتُ كتب العدّ فلم أجد من نقل نقلاً مخلصاً عن الفضل مثلما فعل الصيرفي في «البيان»، فجمعت ما زاد به على اختيار ابن المهندس، وربّته على

الولاء بحسب ما وقع فيه، وركبت لكل حديث أو أحاديث العنوان الذي ارتضاه
الداني ناظماً لها، واضعاً إياه بين معكفين؛ لأنه عند المحاقّة زيادة على النصّ
تستوجب التنبية، ولم أنط منزعتي بتخريج هاته الزوائد؛ لأنّ مناطها كتاب «البيان»،
وقد حُقّق.

وقد أوضعت لتقديم هذا الجزء على أوضاع كان شغلي بها سابقاً؛ لما أنه
يُعرف لأول مرّة فيما أحسب، وأنه خالص كُله للأخبار المُسنّدة، وأنّ فيه وجوهاً
وأفراداً وغرائب خلت منها كتبُ العدّ، وأنه ضمّ صنيعَ رجلين آثاريين عظيمين،
وحَدّ بينهما الفنّ، ومايزَ بينهما الصُّقْعُ ثمّ الطبقة.

ولولا أن يكون الكتابُ هذا خالصاً لابن شاذان - وحسبكَ به - لكان كافلاً
بالاختفاء، لكنّ فضيلةً رديفةً زانته؛ وهي أنّ الاعتيام منه لأبي بكر ابن المُهندِس،
وهو - كما قد علمت - محدثٌ مضرّ في وقته، فاجتمع لهذا السُّفير رأسان في القراءة
والحديث.

وهذا السُّفيرُ نصرٌ جديدٌ يخلع عنه لباس النسيان، لم آل في تصحيحه بحسب
الوسع... وليس يسأم المحققون ما أبقاهم الله، أن يحسبوا ما سلخوا من أعمارهم
وعافيتهم يبتغون به وجه الله، خدمةً وإظهاراً لما حقّه أن يظهر من علوم الشريعة.
نفعهم الله بذلك، وبوأهم المقام الأسنى هنالك، بمَنه ويُمّنه.

وكتب بمراكش الحمراء؛ لعشرِ خلونٍ من رجب ١٤٤١هـ / ٤ مارس ٢٠٢٠م

محمد بن محمد الطبراني الصقلي الحسيني

د. محمد طه العناني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة القاضي عياض

tabarany.com

twitter.com/oknda1osdqmhbj

